الجزء ٦ السنة السادسة



مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية
تصدر في نيو يورك
وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك تموز — (يوليو) سنة ١٩٠٨ — جماد ٢ سنة ١٣٢٦

جمعية السيدات

ما مرَّ على جمعية السيدات السوريات الخيرية في هذا الثغر العام حتى عملت ما لم يُنتظر منها في اعوام . وقد ظهر من مبراتها انها راسخة القدم . شديدة الهمم . قوية الشوكة في دولة البر . ومنصورة العلَم في محاربة الفقر . تجمع الاحسان باليمين . وشمالها تفرقه على البائسين . إنَّ الله مع المحسنات والمحسنين . يثيبهم ثواب اتقيائه المؤمنين

وقد طبعنا في هذا الجزء على ورق مصقول نظيف صورة اعضائها العاملات الفاضلات اثباتاً لفضلهنَّ وما آثرهنَّ لكي تُحفظ في المجلة كتذكار للمؤسسات وكشذرة من تاريخ للجمعية . وفي اثبات فضلهنَّ تشجيع لهنَّ في المواظبة على جهادهنَّ الحسن وانهاضٌ لهمم غيرهنَّ من السيدات الفاضلات والسادة الكرام لكي يمدوا يد المساعدة للجمعية

ومما ننشره كل حين بعد آخر في الجريدة من اعمال هذه الجمعية المباركة يتضح لجميع القراء فضلها واخلاصها في خدمتها وثبات اعضائها في السعي المتواصل للقيام بما يفرضه عليهنّ قانونها

وقد علمنا ان في عزم الجمعية ان تفرغ جهدها في توسيع دائرة اعمالها حتى تضارع جمعية الشابات المسيحيات الاميركية Y.W.C.A. من جميع الوجوه فتكون واسطة خير وعضداً لكل امرأة وفتاة ٠ وفي نيتها ان تشتري منزلاً خاصاً لها ٠ فنسأل الله ان يأخذ بيدها ويحرك عواطف الفاضلات والفضلاء للاشتراك معها في مبراتها وثوابها

وفي هذا المقام لا يسعنا ان نغفل عن ذكران حضرة الفاضلة الغيورة ليديا عقيلة الوجيه الفاضل الخواجا نعمه تادرس هي صاحبة الدعوة الاولى لمؤسسات الجمعية وهي كانت ذات اليد الطولى في انشائها ٠ وما زالت شديدة الغيرة في خدمة الجمعية وتقويتها وتعزيز شأنها ٠ فنسأل الله ان يجزيها الثواب الجميل

ثم اننا نغتنم هذه الفرصة لنشر القصيدة الرقيقة التي نظمها نقولا افندي الحداد تقريظاً للجمعية ونشرناها في الجريدة في اول هذا العام : وهي هذه

بناتِ حوّا هاكنّ شعرا ... يُجلي سناكنّ حين يُقرا
ما الشعر الاّ رسم السجايا ... تلوح فيه الاخلاق غُرّا
تلقي عليها الاذهانُ نوراً ... يرتدُّ عنها نظماً ونثرا
صوّرتُ فيه مجدَ حسانٍ ... يُنسخ عنها دهراً فدهرا
ذواتُ خدرٍ لطفنَ حتى ... غدا لهنّ الفؤاد خدرا
بدونَ للناظرين جهرا ... ودمنَ للناظرين سرّا
نبتنَ بين الرياض زُهرا ... وبتنَ بين النجوم زُهرا
وجئنَ بين الانام طُرّا ... ملائكاً كي يُذعنَ بشرى

رفعن فيهم رايات سلم ٍ وما سواه يبغين أجرا
ان تبد ِ يسرى الايام ِ عسرا أبدين يمنى الايام يسرى
جنود خير ٍ تهزم شرّا وجيش برٍ يدحر فقرا
تكسو محياً الكئيب بِشرا مهما يكُ الدهرُ مكفهرّا
غلّت أيادي البأساء حتى قد أمِن الحظ واستقرّا
ذوات ِ ضعف يدعين لكن أثرن حرباً ونلن نصرا
فدولة اللطف قد تولّت وما لحكم ٍ ان يشمخرّا
وهل لأهل العذار (١) عذرٌ ان لم يضاهوهن فخرا
محون بالفضل إثم حوّا إن صحّ ذا الاثم جرّ شرّا
فيا عذولي بـالله صبرا فإنّ لي في النسيب عذرا
ان كنت صخراً كن مغنطيساً فيه فقد يهوى الصخرُ صخرا
أو كنت نبتاً فكن شعوراً فيه تجد في الشعور شعرا
أو حيواناً فكن غراماً فالحب يعلي الاطباع قدرا
من لي بغيد ٍ كسفن الدراري حسناً فبدرٌ يقود بدرا
ارسلن في ظلمة الرزايـا انوار برٍ ,,بيضاً وصفرا'' (٢)
جمال خلق ٍ وحسن خلق ٍ سبحان من قد أعطى وابرا
من صاغ هذا الجمال شعرا وما رآه الأنام سحرا
ما خضت بحراً وراء درٍ الا أرى الدرّ فيه بحرا
فكل معنى يسوق معنى وكل شطرٍ يقود شطرا
لو كنت ابغي نظم القوافي ملأت منها سفراً فسفرا
لكن دعاني للنظم أمرٌ وليس منـه أجل أمرا

(١) العذار الشعر النابت في الخد . واهل العذار كناية عن الرجال . وفي البيت حث لهم على الاقتداء بالسيدات في تأليف جمعية عمومية

(٢) الفضة والذهب

سجّلتُ فضلاً تنال فيه ,,جمعية السوريات" فخرا
يبقى لها في الاسفار ذكرا والذكر للناس خير ذكرى (١)

نقولا الحداد

Real estate

المضاربة في اراضي البناء

في مصر واميركا

منشأ المضاربة بالاراضي في مصر

سبب غلاء ايجارات المنازل * افضل الطرق التي يتخذها المستأجرون لاستنزال الاجور * بحث اقتصادي يهم قراء الجامعة المتاجرين بالاراضي

بقلم نقولا افندي الحداد

في مصر الآن جمعية من مستأجري البيوت تسعى الى استنزال ايجارات المنازل لانها باهظة عليهم وقد لجأت الى رجال الحكومة بهذا الشأن

وكثيرون من السوريين في هذه الديار تحدثهم انفسهم الآن بالتجارة باراضي البناء و بالابنية و بعضهم شرعوا بها و بعضهم صارت حرفتهم الرسمية

ولهذا أرى ان البحث بهذا الموضوع الاقتصادي أصبح في حينه . ولعلّ فيه فائدة لقراء هذه المجلة في اميركا ومصر وغيرهما

منشأ المضاربة بالاراضي في مصر

بعد ما انشئ الترامواي الكهربائي في مصر والاسكندرية واخذت شركتاه

---

(١) الذكر التذكار . والذكرى التذكير

تمدّ ان خطوطه الى ضواحيها أخذت تلك الضواحي تعمّر وتسكن طبعاً لان الكهرباء قربت الابعاد · فالاراضي التي كانت زراعية وتباع بالافدنة أصبحت مخططة شوارع ومهيأة للبيع بالمتر · والفدان الذي كان في عهد الزراعة يغلّ عشرة مثلاً صار يغل في عهد الاستعمار والاستيطان مئة وربما تضاعفت غلة بعض الافدنة عشرين وثلاثين

فلما رأى الناس ان اراضي الضواحي تزداد غلتها باستعمارها صاروا يتطلعون اليها ويتهافتون لشراء كل ارض يمر فيها الترامواي أو يمكن ان يمر بها في المستقبل القريب أو البعيد · و بسبب هذا التهافت صارت اسعار الاراضي ترتفع تدريجاً ولا قياس لهذا الارتفاع الا مقدار الاقبال على الشراء بقطع النظر عن قيمة الاراضي الحقيقية المتوقفة على غلتها الحالية أو المنتظرة · ذلك لان الناس اندفعوا الى سوق الاراضي بالقدوة على غير تحقيق أو تروّ أو تبصرة في فائدتها المستقبلة · وقلّ من كان يشتري ارضاً بغية ان يبني فيها لاجل سكناه أو لكي يوءجر المنزل الذي يبنيه فيها بل كان معظمهم وربما كلهم يشترون لكي يبيعوا ويربحوا فرق الثمن · أي انهم كانوا تجار اراضي · ولهذا كانت بعض الاراضي تباع وتُشرى في الاسبوع الواحد عدة مرار

ولما اشتد التهافت على هذه التجارة صار كل من عنده ارض زراعية في الضواحي يخططها و يقطعها قطعاً و يعرضها للبيع حتى ان بعض الاشخاص ألفوا شركات واشتروا اراضي زراعية وخططوها وعرضوها للبيع ايضاً

وأخيراً حُسبت الاراضي المهيأة للبناء في القاهرة ولم تُبنَ بعد فظهر انها تزيد جداً جداً على حاجة السكان الحاليين وانها لا تمتلئ كلها ابنية الا بعد عشرين سنة · هذا اذا اطّردت زيادة السكان في المدينة على معدلها المعتاد

فاندفاع الناس في هذا التيار بالقدوة على غير هدي ولا تبصرة افضى الى

أمرين : أولاً الى تهيئة اراضي كثيرة للبناء تزيد على الحاجة الحاضرة جداً وثانياً ارتفاع اسعار الاراضي . وقد نجم عن كل من هذين الامرين اضرار مختلفة

فأولاً ان الاموال التي دفعها ذووها اثماناً لتلك الاراضي ستبقى مدفونة فيها بلا فائدة ولا ربح الى ان تُبنى وتُسكَن . وقد يمر عليها بضع سنين أو بضع عشرة سنة حتى يُحتاج الى بنائها ونلزم للسكنى . ولا فرق ان بقي صاحبها شخصاً واحداً أو تعاقب عليها عدة ملاك فان النتيجة الاقتصادية واحدة . والرابح فيها هو الذي يربح فرق السعر اذا كانت الاسعار تترافع . والخاسر هو الذي يخسر فرق السعر اذا كانت الاسعار تتنازل . أو يخسر فائدة المال اذا بقي السعر على حاله . وأخسرهم في هذه الحالة هو من استملكها مدة أطول . فما تجارة اراضي البناء في هذه الحال الا بورصة أي مقامرة أو مراهنة على فرق الاسعار

ولذلك كانت اراضي البناء تتكاثر في مصر واسعارها تتزايد وكان المتاجرون بها يربحون ارباحاً باهظة جداً . وقد دامت هذه الثورة نحو سنتين أو ثلاث وفي العهد الاخير خمدت ووقفت الاسعار على درجة واحدة وبعضها تساقط قليلاً . وقد تتساقط اكثر في المستقبل اذا عدم الشارون الأمل بالربح منها سواء ببيعها أو ببنائها لانه لا يوافقهم ان تبقى أموالهم مدفونة فيها بلا فائدة عهداً طويلاً حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً . وحينئذ يخسر البائعون مقابل ما كان يربح الشارون الذين اشتروا قبلهم وباعوهم

وجرى في خلال ذلك ثورة كهذه الثورة في الخرطوم (في السودان) ودامت عهداً قصيراً ولكنها كانت أحدّ وأحمى من ثورة مصر فكان موظفو الحكومة هناك وغيرهم من المتمولين يشترون اراضي البناء في الخرطوم ويبيعون كأنهم في

بورصة فعلاً · و بعض الاراضي بيعت واشتريت مراراً في النهار الواحد · وأخيراً كانت النتيجة كالنتيجة التي رأيناها في مصر · وقد ربح كثيرون ارباحاً باهظة · فاذا عادت الاسعار تهبط فلا بد ان يخسر المتاجرون بها بعد الآن بقدر ما ربح الذين تاجروا بها قبلاً

سبب غلاء الايجارات

ولا يخفى ان اسعار الاراضي المعدة للبناء وهي لم تبنَ بعد — انما هي اسعار وهمية لا حقيقية · أي ان هذه الاراضي لا تغلُّ غلة تناسب ثمنها · وانما يُنتظر ان تغلَّ هذه الغلة في المستقبل · فاذا كان هذا المستقبل المنتظر قريباً جداً كان سعرها شبه حقيقي · وان كان بعيداً كان سعرها وهمياً وكان الشاري يشتري لكي يربح من فرق السعر فقط لا من الغلة · فان خدمه السعد بارتفاع الاسعار ربح والا خسر · ولهذا لا تختلف تجارة الاراضي عن المضاربة قط

ثانياً ان ارتفاع اسعار الاراضي الذي نجم عن هذه الحركة في المضاربة باراضي البناء افضى الى ارتفاع اسعار المنازل المبنية التي يسكنها الناس ايضاً لان السوق واحدة للصنفين أي للاراضي المعدّة للبناء والاراضي المبنية معاً · ولهذا كانت تجارة الاراضي تتناول تجارة المنازل ايضاً · وقد نزلت منازل كثيرة الى سوق الاراضي واشتريت و بيعت و ترافعت اسعارها تبعاً للسوق · ويستحيل ان ترتفع اسعار اراضي الضواحي ولا ترتفع اسعار المنازل بل ان هذه اولى بالارتفاع لانها حاضرة الربح

و بالطبع متى ارتفعت أسعار المنازل ترتفع اجورها لا محالة لكي تعادل النسبة بين اثمانها وغلتها كتعادل النسبة بين رأس المال والفائدة

وقد يسأل سائل قائلاً لماذا تظن ان ارتفاع اسعار المنازل هو الذي رفع الاجور ولا تحسب ان ارتفاع الاجور هو الذي رفع اسعار المنازل لان الاشياء

تُثمَّن بحسب ما يُستغل منها لا انها تغلُّ بحسب ما تُثمَّن · أي ان قيمتها بقدر غلتها
اقول نعم أن قيمة الاشياء بقدر غلتها ولكن ليست كل الاشياء محدودة الغلة · وغلة المنازل على الخصوص تابعة لسوق المؤاجرة (على قاعدة النسبة بين المطلوب والموجود) فاذا كثر المستأجرون على المنازل ترافعت الاجرة واذا قلوا عليها تنازلت · فلما حصلت ثورة المضاربة بالاراضي كما تقدم وصفها لم يعد أحد يشتري ارضاً لكي يبنيها بل لكي يتاجر بها أي لكي يبيعها ويربح فرق السعر · ولهذا اصبحت اراضي البناء (الا قليلها) بين ايدي تجار يتداولونها فكانوا حاجزاً منيعاً دون بناء اللازم بناؤه منها · وما زالوا الى الآن قابضين على تلك الاراضي يتوقعون من يشتريها · ولهذا لم تزد المنازل بقدر زيادة السكان فاشتدت الحاجة الى السكنى وبالتالي ارتفعت الاجور مع ارتفاع اسعار الاراضي وأصبح المستأجرون تحت رحمة اصحاب المنازل

ولعل القارئ يقول وماذا يضرُّ اصحاب الاراضي المعدة للبناء ان يبنوها بدل ان ينتظروا من يشتريها أليس الافضل لهم ان يبنوها ويستغلوها

اقول نعم الافضل ان تبنى وتُستغل لئلا تبقى اثمانها مدفونة فيها بلا فائدة · ولكن يحول دون ذلك أحد أمرين : الاول انه لا يوافقهم اقتصادياً ان يبنوا شيئاً حتى اللازم منها لانهم اشتروها غالية الثمن فاذا اضافوا الى ثمنها نفقة بنائها فمعدل الايجار الحالي لا يساوي فائدة مجموع ثمنها (ثمن الارض ونفقة البناء) وهذا تأكيدٌ لقولي السابق ان اثمانها وهمية لا حقيقية · ولهذا يفضلون ان ينظروا شارياً ولو بخسارة · وكانوا ينتظرون شارياً بربح حين كانت حركة الاراضي في ابان حدتها

والامر الثاني الذي يحول دون بنائها حتى ولو كانت لازمة للبناء هو ان كثيراً من الاراضي يملكها اشخاص ليس عندهم قوة مالية للبناء وقد اشتروها بكل مالهم لكي يبيعوها عند اول فرصة حين يمكنهم ان يربحوا من شرائها

افضل الوسائل لاستنزال الاجور

واذ قد تبين ذلك جلياً واتضح السبب في ارتفاع اجور المنازل صار يمكن النظر في الوسيلة الممكنة لرد هذا الحيف عن المستأجرين

قرأنا في جرائد مصر انه تألفت جمعية هناك غرضها السعي الى استنزال اجور المنازل . ولم نرَ من مساعيها مسعى يمكن ان يؤدّيَ الى الغاية المقصودة . وجل ما أتته هذه الجمعية من المساعي الفعلية (غير الخطب والكتابات ونحوها مما لا يلتفت اليه اصحاب الاملاك ولا يحنن قلوبهم ولا يهمهم) هو انها استنصفت الحكومة في الامر

اما الحكومة فلا ترى وجهاً قط لالزام اصحاب الاملاك ان يخفضوا اجور منازلهم . ولا تستطيع لا هي ولا كبير رجالها ولا أحد في الدنيا ان يحابي اصحاب الاملاك ويحملهم على تخفيض الاجور رحمة وشفقة منهم أو فضلاً لان المسألة مسألة تجارة ولا محاباة فيها — هذا مفهوم طبعاً

فاذاً ما الفائدة من الالتجاء الى الحكومة بلا تعيين طلب يمكن تنفيذه ويؤدي الى الغاية المقصودة

ولكي يكون طلب تلك الجمعية أو سائر المستأجرين معقولاً ومفيداً يجب ان يكون اقتصادياً محضاً بحسب ما يلي لان المسألة اقتصادية محضة

اجور المنازل مرتفعة اولاً لان اسعار اراضي (المبنية وغير المبنية) مرتفعة . وثانياً لان المنازل لا تزيد بزيادة السكان . والاراضي غير المبنية مرتفعة الاسعار لان ذويها يتاجرون بها تجارة ولم يشتروها لكي يبنوها والاَّ لما اشتروها بهذا السعر الباهظ

والمنازل لا تزيد الآن بقدر زيادة السكان لان الاراضي اللازمة للبناء اذا بنيت لا تغل بنسبة ثمنها لانها غالية الثمن كما تقدم

فلكي تهبط اجور المنازل يجب ان تكثر الابنية وتزيد على حاجة السكان . فما الوسيلة اذاً لاستزادة الابنية في حين ان اصحاب الاراضي لا يوافقهم ان يبنوها ؟

هل تقدر الحكومة ان ترغمهم على بنائها ؟ — كلا لا تقدر ان ترغمهم عنوة ولكنها تقدر ان تحملهم على ان يتسابقوا الى بنائها أو الى بيعها ولو بخسارة لمن يبنيها وذلك بان تضرب على اراضي البناء ضريبة تساوي ما تجبيه من المنازل التي يمكن ان تبنى فيها أي انها تعتبر كل ارض كأنها مبنية وتتقاضى من صاحبها الرسم على بنايات يمكن ان تبني فيها . وحينئذ يضطر ذووها ان يبنوها أو ان يبيعوها ولو بخسارة لمن يبنيها ومتى ابتنيت البيوت وزادت على حاجة السكان تساقطت الاجور طبعاً

ولما كانت الاراضي المهيأة للبناء غير لازمة كلها للسكنى في الحالة الحاضرة فمن الغبن أو الحيف ان تضرب الحكومة الرسوم المذكورة عليها كلها بل ان تقصر الضريبة على اقرب الاراضي وتعفي البقية الى أجل ينتظر عنده ان تلزم تلك الاراضي البعيدة للبناء

وربما اعترض البعض بان هذه الضريبة حيف على اصحاب الاراضي . فاقول هم اولى بتحمل هذا الحيف من عامة الشعب المستأجرين أولاً لانهم أقوى وأقدر على تحمله وثانياً لان طمعهم هو الذي افضى الى هذه المشكلة التي لا حل لها غير هذا الحل . وثالثاً لانهم في تجارة الاراضي مضاربون والمضارب معرَّض للخسارة كما هو معرَّض للربح

والذي اعلمه ان الحكومة المصرية تتقاضى من اراضي البناء التي لم تبنَ بعد رسوماً اكثر من رسوم الاراضي الزراعية أي انها تتقاضي منها الرسوم بالنسبة الى اثمانها . ولكن لم تزل هذه الرسوم دون الرسوم المضروبة على المنازل المبنية وهب انها تساويها أو تكاد فللحكومة ان تزيد الضريبة الى حد يضطر

اصحاب الاراضي عنده الى بناء اراضيهم

ولعلّ بعض القراء يستهجنون هذه الطريقة فاقول انها غير مستهجنة البتة وكثير من الحكومات تتخذها دفعاً لجشع المتمولين المضاربين بالاراضي · وحكومة اميركا تضيق في كثير من الامور على الطامعين لاجل حماية مصالح العامة · وحكومة السودان نفسها ضيقت اكثر من ذلك في الخرطوم فانها لما خططت هذه المدينة وعرضت اراضيها للبيع كانت تعين لكل شارٍ أجلاً يبني فيه مع ان السكان هناك لا يشكون من قلة المنازل ولا من غلاء ايجاراتها وانما قصدت حكومة السودان من هذا الشرط القاسي سرعة عمران الخرطوم · فأحر اذاً بحكومة مصر ان تضطر أصحاب الاراضي ان يبنوا اراضيهم توسيعاً للعامة · أحرِ بها ان تضطرهم الى ذلك بطريقة أعدل وأخف وطأة وهي ضرب الضريبة السابق الالماع اليها

فالافضل اذاً لجمعية المستأجرين في مصر ان تقترح على الحكومة بواسطة ,, الجمعية العمومية '' و ,,مجلس الشورى'' ان تقرر ضريبة المنازل على الارض اللازمة للبناء التي لم تبنَ بعد · وهي أصح الطرق القانونية

نصائح لتجار اراضي البناء

بقيت الكلمة التي تهم السوريين المشتغلين بتجارة الاراضي في الولايات المتحدة وغيرها · وهي انهم اذا تدبَّروا جيداً ما فصلناه آنفاً عن تجارة اراضي البناء في مصر يستطيعون ان يستخرجوا نصائح نافعة لهم في هذه التجارة · ونحن نحصلها فيما يلي :

اولاً يجب ان ينظروا الى مستقبل البلد أو الحي الذي فيه اراضي البناء معروضة في سوق تجارة الاراضي أي ان يتحققوا ان كان نمو البلد أو الحي واتساع نطاقه محققين أو لا · ولا بد من اسناد تحقيقهم هذا الى سبب

حقيقي محسوس . ولا يخفى ان الاسباب التي تؤدي الى نمو بلد أو حيّ ترتد كلها الى سببين اصليين جوهريين . اما ان يكون في البلد أو الحي مورد رزق عظيم لجمهور من السكان حتى يتقاطروا اليه ويزدحموا فيه أو ان يكون متنزهاً طبيعياً جميلاً في الصيف تطيب الاقامة فيه للمصطافين أو مشتىً دافئاً . وليس ما يجتذب الناس للسكنى مثل هذين الجاذبين العظيمين . فاذا لم يوجد احدهما فمستقبل البلد أو الحي بطيء والارض المعدّة للبناء فيهما قليلة الرواج في السوق والمتاجرة بها مخاطرة

ثانياً يجب ان يُنظَر الى الاراضي المخططة والمعدّة للبناء والمعروضة في السوق ان كانت وفيرة جداً بحيث انها تربو على الحاجة المنتظرة قريباً أو انها قليلة ينتظر بناؤها كلها في العهد القريب . ولا بد في هذا النظر من اشتراك النظر السابق معه أي ان ينظر الى النسبة بين مساحة الاراضي المعروضة للبيع و بين معدل زيادة السكان فان كانت الاراضي اوفر كان الخطر في هذه التجارة أشد والعكس بالعكس

ولا يغرنك في هذه الحال ما تراه من تسهيل وسائل الشراء والدفع ونحو ذلك مما تستنبطه شركات اراضي البناء للترغيب والتحبيب فما هو الا من قبيل ترويج بضاعة ولا يضمن الرواج الحقيقي أي الناجم عن الحاجة الحقيقية الى اراضي البناء بسبب وفرة السكان . ولا عبرة في سهولة طرق الشراء وانما العبرة في سهولة طرق البيع . وما الفائدة اذا اشتريت رخيصاً و باقساط صغيرة جداً وكان يستحيل عليك ان تبيع لعدم وجود شارٍ حتى ولا مستوهب

ثالثاً يجب ان يُنظَر الى نسبة السعر لما يُنتظَر من غلة الارض (متى بُنيت) على معدل الايجارات المعتادة . فلا يغرنك ما تراه من ترافع الاسعار المستمرّ . فان سعر الاراضي قد يترافع بسبب اندفاع الجمهور مع التيار في هذه

التجارة وتهافتهم الى الشراء — قد يرتفع الى ان يتجاوز كثيراً أو قليلاً السعر الحقيقي أي السعر الذي يغل المسعر عنده الغلة المطلوبة • ولا تطمع بان تكسب من فرق السعر (مع علمك ان السعر تجاوز الحد) لظنك ان السعر لا بد ان يرتفع بعد • لانه بعد تجاوزه الحد في الارتفاع يصير عرضة للهبوط لا للارتفاع ولو كان الناس مندفعين في الشراء ويصبح البيع متعذراً جداً كما حدث موءخراً في مصر فان الاسعار لم تهبط بعد ولكن البيع صار صعباً • وسبب عدم هبوط السعر حتى الآن ناجم عن ان الناس لا يزالون طامعين لان الهيضة الاخيرة لم تزل موءثرة عليهم • ولكن متى مرَّ عهد كافٍ لاقناعهم بان الاسعار لا ترتفع لكي يربحوا كما يطمعون وخاب موءملهم تتراخى ايديهم و يبيعون قانعين بالخسارة القليلة • وحينئذٍ تبتدئ الاسعار تتساقط تدريجاً

ومن يعش ير نقولا الحداد

كلام لابن الشرق في الغرب

الآن بدأتُ أُحبُّ أميركا

مثال من مدينة اميركية

٢

وعدتُ القارئ في المقالة السابقة ان أجعله يسوح معي سياحة صغيرة في داخلية الولايات المتحدة لأُريه جمهوراً غير الجمهور الذي ألفه في نيويورك وكان السبب في نفرته منه بل من أميركا كلها • واول ما أطلبه ان يتجرَّد من العواطف والمبادئ والافكار التي اكتسبها في الشرق وفي اثناء حياته كلها و ينظر الى الكائنات حوله من أشياء واشخاص نظراً جديداً كأنه لم يرَ قارة غير هذه القارّة ولا جمعية بشرية غيره هذه الجمعية

سبب خفيّ

اصبحتُ في وليمنتك التي عليها مدار هذين الفصلين في يوم أحد ففتحت نافذة غرفتي في الفندق فالفيتُ المدينة راقدة رقوداً تاماً كأنّ الظلام لا يزال يخيم عليها · فلم أرَ في الشارع ابن يوم ولا ابن الف يوم ولم اسمع صوت مركبة والقطار الذي كان يزعجني في الليلة الفائتة بصراخه وعويله في اثناء مروره المتتابع في المحطة المجاورة لفندقي سكت صوته الاّ قليلاً · فقلتُ حيٌّ هو اسم الرب هذا يوم الرب عند القوم فلننزلن لنرى كيف يقضونه

انحدرت من الفندق بعد ان كنت قد حططت الرحال في سبع مدن في تلك الولاية (كنانكت) وهي دنبري و بريجبور ونيوهافن ومريدن وور بري وترنتن وهرتفرد · وكنتُ قد بدأت في الحقيقة ان اشمّ رائحة جديدة لم أعلم سببها الا متأخراً · ونما وقفتُ عليه في بوسطن

والاسباب الخفية لا تُكشف الا في المكاتب

ان بوسطن أعظم المدن في الولايات الشرقية بعد نيويورك وفيلادلفيا · وكأنها نسخة مصغَّرة من نيويورك بكل ما فيها حتي سكتها الحديدية تحت الارض (النفق) وفوق الارض (الاليفاتر) وانوارها الكهربائية الساطعة في شارع واشنطن الذي يشبه برودواي نيويورك · فمتي يصبح واشنطون نيويورك كواشنطن بوسطن

ساقتني قدماي الى مكتبة بوسطن العظيمة أو بالاحرى ارادتي لانني سرتُ اليها في الترمواي لا مشياً · و بناء هذه المكتبة أجمل بناء لمكتبة عرفته حتي الآن · وحسبها داراً لائقة للعلم انها مكتبة تجذب النظر الى جدرانها المربعة الشاهقة فقد نُقش في جهاتها الاربع اسماء جميع العلماء والادباء والفلاسفة ومشاهير الناس من عهد

اليونان والرومان الى اليوم نقشاً جميلاً تقرأه من الشارع · ولكنه (صلاته) أي بلا ترتيب · فقد وضعو اسم كارنو مثلاً بين اسماء مشاهير العلم والفلسفة فأي كارنو يعنون ؟ أأحد رؤساء الجمهورية الفرنسوية السابقين أم أحد اجداده الجنرال ؟ كلاهما لم يعملا شيئاً يستحق هذا التخليد والتمجيد بازاء ابطال العلم والفلسفة الصناديد · وقد رأيتُ اسم كارنو ولم أرَ اسم جول سيمون مثلاً ولعلّ هذه من آثار العجلة الاميركية في كل شيء حتى العلم واعتداد الاميركان بالظواهر والنتائج اكثر من اعتدادهم بالبواطن والحقائق

ورأيت في المكتبة رجالاً ونساء جلوساً يطالعون · فما يفعل هؤلاء الادباء في هذا الحَرَم الادبي المقدس ؟ لعلهم ليسوا باميركان · انهضوا وانزلوا الى الشوارع حيث البنوك والمعامل وصوت المدينة تدعوكم الى الحركة والعمل والنشاط الغريب · انتم اميركيون والوقت لديكم مال فلا تضيعوه في المطالعة والتفكير والتنقيب · هذا ليس بأميركي · ولكني نسيت انني في بوسطن حاضرة العلم والأدب في الولايات المتحدة · حيث تجارة الكتب أروج منها في كل مدينة اميركية غيرها — حيث مدارس العلم والفنون اكثر واقوى منها في أي مدينة اميركية — حيث صدرت اول جريدة اميركية في العالم الجديد (١٧ نيسان سنة ١٧٠٤) — حيث علا اول صوت يطلب الاستقلال عن الانكليز وارتفعت اول راية للتمرد عليهم ولا تزال المباني التي كانت تُقام فيها اجتماعات الشعب لهذا الغرض (ستي هول وفانول هول) قائمةً بجانب حديقتها الجميلة الكبرى التي مساحتها (٢٠ هكتاراً) — حيث يفاخرون بانهم يتكلمون انكليزية أصحّ من انكليزية سائر الولايات — حيث يباهون بانهم اقرب الى الامة الانكليزية في اخلاقهم ومشاربهم من سائر الامة الاميركية

وبعد هذا فهمتُ لماذا يُكثر المستر كرنيجي التبرع لانشاء المكاتب حتى

أصبح ذلك شهوته وهواه . فانه يعلم ان الشعب الاميركي شعب عملي تجاري صناعي واكثره عملة ما زالوا عملة أو عملة اغتنوا وأصبحوا تجاراً او اصحاب معامل . فهو يريد تعويدهم المطالعة والبحث ليرتقوا ادبياً كما ارتقوا مادياً فيرتفع بذلك معدّل قوى الذكاء والنباهة في الامة . برافو مستر كرنيجي . على شرط ان لا تغض الطرف كل الغض عن الذين يموتون في الشوارع ولا يستطيعون الوصول الى هذه المكاتب . وهم أحوج الى لقمة منهم الى كلمة . والى مائدة منهم الى فائدة

اما الحل الذي وجدته في المكتبة لذلك السرّ الذي تقدمت الاشارة اليه فقد رأيته في تاريخ استعمار ولايات كناتكت وورود آيلند وماستشوستس وماين وهي ما يدعونه (نيو انكلند) أي انكلترا الجديدة . ولعل في هذه التسمية نفسها ما يشير الى ذلك السرّ وينمّ عليه

ان هذه الولايات التي يدعونها (نيو انكلند) كانت اول الولايات الاميركية التي عمّرها المستعمرون الانكليز المدعون بطائفة البيوريتين . فان هذه الطائفة المشهورة في التاريخ الانكليزي هجرت انكلترا لتتمتع بحرية دينية مطلقة وتحفظ تقاليدها ومبادئها حفظاً مطلقاً فحطت رحالها في هذه الولايات وأخذت تصارع الطبيعة والهنود سكانها الاصليين فدحرتهم الى الداخلية وشرعت تبني البلدان وتقطع الاحراش وتزرع الارض — امور كانت يومئذ فوق الطاقة البشرية لو لم تسندها وتؤيدها مبادئها الدينية واملها في ان تعيش مطلقة الحرية في هذه المبادئ . ومن هنا ابتدأ التمدن الانكليزي في الولايات المتحدة وكانت هذه الولايات وما زالت قائدة شعب باقي الولايات كلها في كل ما يختص بالآداب الاجتماعية والعادات التقليدية . وكان من خواص مبادئ البيوريتين تقشف شديد . فهم يضغطون على حواسهم ضغطاً شديداً و يعدّون كل تمتع شراً صادراً

عن ابليس . وعندهم انه يجب قهر الجسد والنفس والانصراف الى الامور الروحية انصرافاً كلياً . فالخمرة عندهم شرٌّ كبير بل امُّ الشرور فيحرّمون شربها (١) والدخان شرٌّ صغير فكانوا يوجبون الحَدّ والقصاص على كل من يدخن تبغاً في الشوارع . وحفظ يوم الاحد أي الراحة المطلقة فيه سنة السنن عندهم . فكانت الابنة اذا زارت امها في يوم الاحد تُجزى أشد جزاء . أضف الى هذه الامور التي يبتسم الناس لها اليوم رغبة حقيقية في طهارة المعيشة وحفظ الآداب الانجيلية وتوجيه قوى النفس الى الكمال الروحي . فهذه المبادئ كلها كان اول غرسها في هذه الولايات (ماستشوستس وماين وورود آيلند وكناتكت) والآن وقد مرّت القرون وقامت مبادئ وسقطت مبادئ وتحوّل الشعب الاميركي بكليته عن ذلك الغرض الروحي الذي نصبه امامه اجداده المستعمرون السذج يخيّل لي ولعلي غير مخطئ ان تلك (الريح الجديدة) التي شممتها منذ دخلت هذه الولايات وجعلتني اقول (الآن بدأتُ أحبُّ أميركا) انما هي أثر من آثار مبادئ البيوريتين القديمة اول مستعمري هذه الولايات . وهو عندي كأثر ريح الطيب يبقى في القارورة حتى بعد ذهاب الطيب منها وفراغها منه . بل هو عندي (خيال الخيال) الذي أشار اليه الفيلسوف رنان في قوله المشهور عن الذين

---

(١) من الغرائب التي سأبسط في الكلام عنها منع بعض المدن في هذه الولايات بيع المسكرات واقفالها جميع الحانات . فقد مررت في وستر (ماستشوستس) فلم أرَ فيها حانة (صالون) والبوليس مشغول « بكبس » المنازل التي يشتبه بانها تبيع خمراً او يجتمع فيها جمهور للشرب . وكمبردج (ماس) مدينة العلم (اذ فيها كلية هرفرد المشهورة) ليس فيها حانة ايضاً . والحانات في بوسطن تقفل بعد الساعة الحادية عشرة مساء بينما هي تبقى في نيو يورك مفتوحة الى ما بعد الساعة الثانية بعد منتصف الليل . اما ولاية ماين التي اكتب هذه الرسالة منها فليس فيها كلها حانة واحدة لان بيع الاشربة الروحية ممنوع فيها كلياً الا في الصيدليات حيث تؤخذ كدواء

عاشوا مستندين الى الدين . قال : ,, ان المتدينين يعيشون من الخيال . ونحن الذين كنا مثلهم وانفصلنا عنهم نعيش الآن من خيال الخيال . فبعدنا ترى من أي شيء يعيشون ؟ ''

الجديد الذي رأيته

قلتُ انني انحدرت من الفندق الى شوارع البلدة لاراها في يوم الاحد . فرأيت صورة غير الصورة التي اعتدت رؤيتها في نيو يورك . رأيت الحانات مقفلة وليس فيها (تهريب للمشروبات) كما رأيت في نيو يورك . والشعب نشيط ولكنه هادئ يسير في الشوارع بسكينة وعلى وجهه لوائح فراغ البال بدل الاهتمام الشديد الذي يُرى في وجوه المجاهدين في سبيل الحياة . فكأنه يأكل خبزه ويحصل رزقه بتعب يسير لا بجهد كثير . ولم أرَ احدهم يثب وثباً في الشارع الى غرضه بل لاحظت انَّ مشيتهم الهوينا . ومن جميع السيدات اللواتي مررت بهنَّ ومررن بي في طول يوم الاحد واليوم الذي يليه لم الاحظ ان احداهنَّ شبيهة بنساء الشارع الرابع عشر في نيو يورك وما فوقه فاما انني جاهل في صناعة (التمييز) بين المليح والقبيح من هذا الوجه واما ان النسا اللواتي هنَّ على ذلك المثال لا يهبطن الى الشارع . ولذلك كنتُ اشمُّ للشارع ريحاً طيبة ولم تقع عيني قط على رجل فيه يسارّ امرأة أو يداعب امرأة . وبعد الظهر كنت اتنزه مع بعض الاصدقاء على الضفة الجميلة للنهر المقابلة للمدينة بين المنازل الفخيمة المحاطة بحدائق غناء تسرّ الناظر وتروّح الخاطر فكانت السيدات والاوانس يمررن بي ولا يرفعن انظارهنَّ نحوي . فخيّل لي انني أرى عذارى شرقيات يحبس الحياء نواظرهنَّ الساجرة عن الارتفاع في وجوه ابناء السبيل . فلله كم لذَّ لي ذلك المشهد بعد ما رأيت في نيو يورك من استرجال كثيرات من النساء فيها . فتذكرت حينئذ قول المسيو بول بورجه في كتاب كتبه بشأن سياحته

في اميركا وهو ان وراءَ طبقة النساء المسترجلات في اميركا طبقة تعيش معيشة عيلية محضة وآدابها المنزلية لا غبار عليها من أي وجه · اقول هذا ولستُ من الكارهين لاستقلال المرأة وتسلمها زمام نفسها · ولكن الحق يقال وهو ان اولئك العذارى والسيدات اللواتي كنّ يمررن بي على ضفة النهر ولا يرفعن انظارهنّ نحوي ويمشين متنزهات بجانبي بحشمة وأدب مشية ذكرتني مشية بناتنا ونسائنا — ان اولئك العذارى والسيدات كنّ من أكبر العوامل التي أوجدت فيّ ذلك الميل الجديد الذي ترجمته في صرخةٍ جعلتها عنوان هذين الفصلين وهي (الآن بدأتُ أحبُّ أميركا)

سقياً لكِ يا برية المدن وخلائها الواسع · يامن تصلحين ما افسدته المدنية وتجعلين النظر الى ابنائك يظنهم من طينة غير تلك الطينة · وانتِ ايتها الخيالات الادبية القديمة كم تعيش الآن منك امم حديثة ولذلك نرى انك في هذا أحق من الحقائق

بقي هنا سبب اجتماعي عظيم يحبب أميركا الى ساكنها خصوصاً المهاجر اليها وسنتكلم عنه في الفصل التالي وبعده ننظر في مستقبل اميركا ومدنيتها

آدم وحواء

أين سكنا

منشأ البشرية الاولى

المتطرفون في العلم الحديث يعدون آدم وحواءَ شخصين وهميين وجنة عدن حيث اقاما مكاناً خيالياً وقصة الابوين الاولين اسطورة تقليدية · على انه مهما يكن مبلغ هذه القصة من الصحة فلا بد من وجود الانسان الاول حتى ولو صح

انه لم يكن الا حيواناً أرقى من القرد · وعليه لا يعقل ان منشأ الانسان كان في كل صقع من اصقاع البسيطة بل لا بد ان يكون قد نشأ في صقع خاص وتفرّق نسله منه الى جميع انحاء المعمور

وقد اطلعنا على بحث علمي بهذا الموضوع لاحد علماء الاميركان الاستاذ غارت سرفيس برهن فيه بحسب الجيولوجيا على ان منشأ الانسان كان في القطب الشمالي لا في آسيا كما هو الظن الغالب · قال :

يعتقدون ان الفردوس الارضي كان في آسيا مستندين على التاريخ القديم الذي يفيد ان الامم التاريخية القديمة كانت متجمعة في سهل ايران المرتفع وتاريخ العبرانيين نفسه يفيد عن امور تتصل بتلك الجهات · وهذا الذي حدا الى الى الاعتقاد بان منشأ الانسان كان في ذلك القطر من اسيا

على ان الاسطورة العبرانية بشأن آدم وحواء ليست الا تقاليد أقدم عهداً منها · واذا جئنا نستقصي عقلاً هذه التقاليد حتى نتوصل الى مصدرها الاصلي وجدنا انها تقودنا الى بقعة كان فيها مخاليق لهم من الادراك والمعرفة ما يُقدرهم على ان يتناقلوا تأثراتهم وتذكاراتهم الواحد من الآخر · فهؤلاء هم اول من وجدوا على هذه الكرة الارضية · وليس من الضروري الحكم بانهم كانوا في ذلك الموطن الاسيوي التاريخي · فهل يتسنى لنا ان نعلم موقع تلك البقعة التي نشأوا فيها · فاذا تسنى لنا ذلك امكننا ان نجيب على هذا السؤال „ أين مسكن آدم وحواء " باعتبار انهما يمثلان اوائل البشرية

يتراءى لنا ان الجواب في اليد · فان العلم الجيولوجي يُظفرنا به · ومتى وصل الباحثون الى القطب الشمالي كانوا يضعون أقدامهم في جنة عدن · وغرض جميع الباحثين عن القطب الشمالي الآن انما هو استثبات ما اذا كان ذلك القطب أول يابسة نشأت فوق الماء وما اذا كانت تلك الارض اول بقعة صالحة للحياة

ومباحث المستر بايلي ويليس احد موظفي المساحة الجيولوجية الاميركية اظهرت ان البقاع التي حول الاوقيانوس المتجمد الشمالي التي لم يزعجها مزعج منذ العصر الجيولوجي الاول المدعو Paleozoic time تحركت حركة مركزية انثنت عنها الاقسام الشمالية من يوراسيا واميركا الشمالية

متى تكلم الجيولوجيون عن العهد الجيولوجي الاول عنوا عهداً لا يكاد يُتصور تقادمه • وكل خطوة يخطونها في ابحاثهم تدل على ان قشرة الارض متحركة تحركاً دائماً • فأولاً ظهرت اليابسة وابتدأت الجبال تتشامخ وثم جعلت السطوح العالية تنخفض والبحر يطغى على حواشي القارات • والآن نحن نعيش بالقرب من دائرة جبال مستمرة الشموخ (والحق اذا نظرت الى خريطة الجغرافية الطبيعية وجدت ان جبال الارض متألفة على شكل نضوه أي دائرة غير تامة) ولكن حول القطب الشمالي لم تزل كتلة القشرة الارضية القديمة على شكل دائرة لم يطرأ عليها طارئ كأنها قد استتمت تكوّنها قبل سواها فهي اذاً اقدم يابسة و بالتالي أول موطن للحياة ولا يخفى انها كانت في ذلك العهد لم تزل حارة كحرارة المناطق الحارة الآن • ولهذا كانت صالحة للحياة

وليس بالجديد هذا الاعتقاد أي ان القطب الشمالي وما حوله من البر هو مركز الفردوس — والمراد بالفردوس مهد الانسان الاول • فقد خطر هذا الخاطر لكثيرين • ومنذ ربع قرن شرح عنه الدكتور وارن من جامعة بوسطن في سفر خاص • وغرض التحقيقات الجيولوجية الآن ان تؤيد هذا الاعتقاد كما شرحه • على اننا لا نتوقع ان نتصل الى حقائق تفصيلية ولكن يكفينا ان نتأكد ان الحياة نشأت أولاً في القطب الشمالي وثم نترك التفاصيل للتصورات وحينئذ تتراءى لنا تصورات عجيبة عنها

في الاوقيانوس الشمالي حوض عميق جداً وحوله ينهض اليبس القطبي أي

الصخور التي امتدت منها ضلوع الارض الحديثة · فتصوَّر ان البحر هناك كالبحر المتوسط والبر محيط به والاحياء يعيشون حول ذلك البحر ونهارهم وليلهم اشهر · أي ان الشمس تظهر لهم في الصيف دائرة حول الافق فكلما مسَّت الافق كل ٢٤ ساعة مرة تنهض ثانية ثم تبتدئ تغيب قليلاً و يبتدئ ان يطول الليل حتى تغيب الشمس اخيراً غياباً طويلاً

وتصور حينئذ انواعاً مختلفة من الاشجار والبقول والحيوانات كانت عائشة فانقرضت ولم يبق الا احافير بعضها · وتصور مع ذلك آدماً وحواء أو عدة آدميين وحوَّاآت يعيشون في عهد البساطة بقليل من الذكاء و يتمتعون بالحياة قانعين بما جادت به لهم الطبيعة · وحينئذ تشعر مع ملتون الشاعر الانكليزي كيف ان „ الفردوس فقد " Paradise Lost

باب الاخبار العلمية

عجائب اللاسلكية

التصوير وترتيب حروف الطباعة من بلد الى آخر بلا سلك
التنويم بالنور الاحمر

اذا كان القرن التاسع عشر يسمى العصر الكهربائي فأحرِ بالقرن العشرين ان يسمى العصر اللاسلكي · فقد كنا فيما سبق نخال انفسنا في احلام وحقائقنا كالاوهام اذ نرى السلك يعمل العجائب بين الاقوام · فان البشر وهم متبعثرون على سطح الكرة الارضية يتفاهمون و يتخاطبون و يتعاملون كأنهم متجمعون في بقعة واحدة حتى أصبح من مألوفاتنا ان نتفاهم بالتلغراف ونتخاطب بالتلفون

ونسمع اصوات غيرنا بالفونوغراف ونرى عوائد الامم الغريبة عنا بالسينماتوغراف وقد يصبح مألوفاً عندنا ايضاً ان نكتب في نيويورك فيرتسم خطنا في لندن أو نأخذ صورة صديقنا هنا حين ترسم هناك . ذلك لان المستر كربونل المهندس البلجيكي توفق الى اختراع آلة تنقل الصور بواسطة الاسلاك التلغرافية . وليست فائدة هذا الاختراع في نقل الصور فقط بل بنقل الخطوط والامضاآت الرسمية والتحاويل المالية فيؤمن بواسطته الغش والتزوير . واصحاب الجرائد اكثر انتفاعاً به اذ يتسنى لهم ان يأخذوا رسوم الحوادث المفاجئة مع أخبارها

اما الآن فنكاد نستغني عن السلك بتاتاً في نقل الاخبار والاصوات والخطوط والرسوم من جهة الى جهة

فتلغراف مركوني ينقل الآن الاخبار بين شاطئي الاتلانتيك وقريباً يجعل ينقلها بين شاطئي الباسفيك ايضاً

والتلفون اللاسلكي أصبح ينقل الاصوات الآن على بعد بضعة عشر ميلاً ولا يبعد ان يتسنى له ان ينقلها على أي بعد ارضي

ومؤخراً قرأنا ان هنس ندسن المخترع الدنيمركي بعد ما فرغ من اثبات صحة اختراعه للتصوير الفوتوغرافي على بعد بلا سلك اعلن انه سيعرض اختراعه الآخر الجديد لصف حروف الطباعة على أي الابعاد بلا سلك ايضاً

وقد قال لاحد محدثيه في لندن في الشهر السابق : لقد انجزت الآلة الاولى لهذا الغرض ونجحت في اتمام وظيفتها فجمعت بها ٣ آلاف كلمة في ساعة

ولا يخفى ان لترتيب الحروف الافرنجية آلة تدعى ,,لينوطيب" يشتغل بها كما يُشتغل على الطيب ريتر (الآلة الكاتبة) فتمكن السرعة بها اكثر من الكتابة المعتادة . وهذا المخترع يرتب الحروف من بلد الى آخر بآلة على مبدإ اللينوطيب

وقال ايضاً : ,, ليس الوقت ببعيد حين يتسنى لمراسلي الجرائد الاميركية في

لندن ان يرسلوا اخبارهم الى جرائدهم رأساً لا لآلة الطبع أي انهم يشتغلون على العِدَد في لندن فتترتب حروف الاخبار في نيويورك"

وقال . ,, اني استطيع ان ارسل صوراً الى كل جهة يرسل اليها ماركوني اخباراً وفي وقت قصير يتسنى لي ان ارسل صور المجرمين وتمغات اصابعهم من انكلترا الى نيويورك بلا سلك"

وقد نسخ صورة الامبراطور غليوم والامبراطورة من غرفة الى غرفة من غير ان يستعمل سلكاً فاخترقت الكهربائية كل حاجز

التنويم بالنور الاحمر — اتصل في هذا الشهر بالبوليس السري في باريس خبر سرقتين امرهما محير ففي احداهما سرق اللصوص ثمينات منزل وهي محفوظة في خزانة سرّية ومفتاح الخزانة معلق في عنق صاحبها فأخذوا المفتاح واهتدوا الى مختفى الخزانة وفتحوها وانتهبوها . وفي الثانية انهم سرقوا خزنة حديدية والخفير نائم فلم يستيقظ . وبعد التحري اهتدى البوليس الى السر وذلك ان أحد هؤلاء اللصوص كان عرضاً في مستشفى فرأى طبيباً ينوّم أحد المرضى تنويماً مغنطيسياً بالقاء النور من مصباح ذي زجاجة حمراء على عيني العليل وهو مستغرق في النوم وكان في اثناء ذلك يخاطبه واخيراً صار يسأله فيجيب .

وتبين ان اللصوص لما اطلعوا على هذه الحقيقة العلمية استخدموها لغايتهم . ففي الحادثة الاولى دخلوا الى المنزل بمصباح ذي زجاجة حمراء والقوا اشعة المصباح الحمراء على عيني صاحب المنزل وجعلوا يسألونه مستفهمين منه عن كنزه فدلهم على الخزانة الخفية وعلى مفتاحها المعلق في عنقه فانتزعوا المفتاح منه وفتحوا الخزانة وانتهبوها . وفي الحادثة الثانية نوّموا الخفير تنويماً مغنطيسياً ايضاً وامروه ان يبقى مستكناً ونقلوا الخزنة برمتها

وفي اليوم التالي كان المسروقين في حيرة لا يعلمون كيف ذلك ولا سيا لانهم لم يروا اثراً لشيءٍ من المخدرات كالكلوروفورم أو الايثر

حق النساء في الحكم الذاتي

هل لهن هذا الحق؟
وهل يوافق الهيئة الاجتماعية ان يحصلن على هذا الحق

(بقلم نقولا افندي الحداد)

السلطة موضوع تنازع الامم والافراد منذ القديم · ففي عصور الهمجية والمدنية القديمة كانت السلطة في يد الاقوياء المستبدين و بالتالي كانت محصورة في الافراد المعدودين — هم الحكام الآمرون الناهون بحسب ما تلهمهم انفسهم الطموعة

ففي عصور الاستبداد كان اولئك الافراد يتنازعون السلطة · ولكن لما جعلت المعرفة تقلّص ظلّ الجهل وصار العامة يعتقدون بتساوي البشر في حق التمتع بالحرية وفي المساواة أخذ هؤلاء العامة ينازعون الاعيان قوة الحكم · ومن ثمّ نشأ امران الاول تجسم الديموقراطية أي اشتراك الافراد بالحكم · والثاني تحوّل السلطة من هيئة الحكم المطلق الى هيئة الادارة · ومن ذلك ان الحكم في اميركا يدعى Administration (ادارة) كأن الحكومة اصبحت كمعمل يديره موظفون مستخدمون يتفق على استخدامهم جمهور الشعب · ومعنى ذلك ان تحكّم الفرد بافراد قد انقضى وقام مقامه تمتع الجمهور بالحكم الحرّ أي باختيارهم اشخاصاً اهلاً لان يديروا شؤونهم الاجتماعية والسياسية لا لان يتحكموا فيهم

وعلى ذلك نرى ان جميع امم الارض ساعية الآن الى هذه الغاية وهي طرح نير ,, التحكم الفردي '' واقامة ,, الادارة الجمهورية '' مقامه · وهذا هو منشأ التنازع الآن في الممالك التي لم تظفر بهذه الغاية تمام الظفر بعد كما نقرأ

عن احوال روسيا وايران وغيرهما من الممالك الشرقية

ومع ان هذا التحوّل من ,, السلطة الفردية '' الى ,, الادارة الجمهورية '' يكاد يعم جميع الامم المتمدنة لم تزل فئة من البشر غير مشتركة في تأليف هذه الادارة · ففي بعض البلاد الجمهورية أو النيابية الاحكام يُقصَر حق الانتخاب على فئات معينة من جماعة الامة كذوي الاملاك مثلاً وذوي الصناعات ونحو ذلك · وفي معظم تلك البلاد النيابية الاحكام ليس للنساء يد في انتخاب الهيئة الحاكمة الادارية مع ان النساء نصف البشر فلذلك لما استتب للجمهور الحكم الذاتي وكاد ينتهي التنازع الذي بينهم وبين الاعيان نشأ التنازع بين الرجال والنساء · أي ان قوة الحكم الاداري بعد ما كانت موضوع التنازع بين الاعيان والعامة اصبحت موضوع التنازع بين الرجال والنساء

وفيما يلي بيان ما نالته النساء من حقوق الانتخاب كما ورد في تقرير السيدة فريدا رادل احدى زعيمات المطالبات بحق الانتخاب في همبرغ :—

ففي اوستراليا تمتعت السيدات بحق الانتخاب منذ ١٩ ايلول سنة ١٨٩٣ وفي نيوزيلاند يوجد ٩٠ الفاً من ١٤٠ الف سيدة بالغة يتمتعنَ بحق الانتخاب في الامور الادبية وبواعث الارتقا ومقاومة الاشربة الروحية · وفي بريطانيا العظمى يسوّغ القانون لانتخاب السيدات الانكليزيات والتصويتهنّ للعضوية في مجالس الشيوخ ولوظيفة ,, محافظ الفقراء '' في المدن والمقاطعات · وفي نروج يحق التصويت لكل امرأة تدفع ضريبة من ٧٥ الى ١٠٠ ريال في السنة · وفي اسوج يحق التصويت لكل امرأة تدفع من المكوس ٢٥ ريالاً على الاقل · وفي دنيمرك يحق للنساء ما يحق للرجال من التصويت تحت نفس الشروط · وفي ايسلاند حقّ للنساء ان يصوتنَ في الامور العمومية منذ سنة ١٨٨٢ وفي فنلاند النساء والرجال متساوون بحق التصويت تحت الشروط المعينة · وفي نذرلاند يوجد

لائحة تعد بمنح النساء حق التصويت كالرجال . وفي فرنسا وبلجيكا والنمسا وسويسرا والمانيا النساء محرومات حق التصويت . ولكن في المانيا حركة تدل على ان السيدات متأهبات للجهاد في المطالبة بهذا الحق . انتهى

وفي الولايات المتحدة بعض الولايات خولت النساء حق التصويت ببعض الامور كادارة التعليم ونحوه

فمما تقدم يُفهم ان النساء مفلحات في هذا الجهاد . وقد لا ينصرم عقدٌ أو عقدان من هذا القرن حتى يستوي حقهنَّ مع حق الرجال في الانتخاب

ولا يخفى ان مطالبة السيدات بحق الانتخاب متنوعة فبعضهنَّ يطالبن بحق التصويت فقط أي ان ينتخِبنَ ولا يُنتَخبنَ وبعضهنَّ يطالبنَ بالحقين معاً . وبعضهن يحصرن المطالبة بأحد الحقين أو بكليهما معاً في بعض الامور دون البعض كادارة المعارف ومقاومة المسكرات ونحو ذلك . ولكن وجهتهنَّ جميعاً واحدة وهي التدرج شيئاً فشيئاً الى التمتع بجميع حقوق الرجال تجاه الدستور الذي أصبح اداريًا

وهو معلوم انه لو لم يكن حق النساء بالتصويت والانتخاب يحتمل النظر ويتردَّد بين الشك واليقين لما قام هذا النزاع بين الرجال والنساء . فالمسألة التي هي نواة هذا الموضوع عند المفكرين به هي „ هل يحق للنساء ما يحق للرجال في التصويت والانتخاب "

والذي اراه ان التوفق الى حل مقنع لهذه المسألة لا يقضي اللبانه لانه قد لا يكفي لحل المسألة حلاً اجتماعيًا ولهذا يجب ان نضيف الى السؤال الآنف سؤالاً آخر وهو : „ هل يوافق الهيئة الاجتماعية ان يتساوى الرجل والمرأة في حقي التصويت والانتخاب " أي انه اذا استوى الجنسان بهذا الحق أفيستمر الرقي البشري صاعداً في سلمه أم انه يسرع أم يبطئ ؟

الاهتداء الى الحق في المسألة غير صعب ولكن الامر الجوهري هو التأكد ما اذا كان تقرير هذا الحق نافعاً للاجتماع لانه قد يكون ضاراً وان ظهر أنه حق . ويكون كذلك اذا كان هذا الحق قائماً على اساس مغلوط

المسألة الاولى

وللبحث في المسألة ننظر في طبيعة التصويت والانتخاب لنعلم ما الغرض منهما ومن ثم يسهل علينا ان نتحقق ما اذا كان للنساء حق بهما

غنيٌّ عن البيان ان القصد من اشتراك الجمهور بانتخاب نواب عنهم لاستلام زمام الحكومة انما هو ضمانة حقوقهم ومصالحهم لانهم لا ينتخبون رئيساً للجمهورية (أي مديراً لاعمال الحكومة) أو نائباً للمجلس الذي يسن الشريعة لكي يضعوا مصلحتهم في يده الا الشخص الذي لهم ملء الثقة فيه . فلو لم تكن لهم حقوق ومصالح يبتغون حمايتها لما اهتموا بانتزاع قوة الحكم من يد الحكام المستبدين واشتركوا كلهم بتعيين قيمين عليها يديرونها وفقاً لمصلحة مُعيّنيهم

فاذاً الغرض من حق الانتخاب حماية المصالح والحقوق الشخصية . وعليه يحق لكل ذي مصلحة ان يَنتَخب ويُنتَخب . فاذا كان للنساء حقوق ومصالح تضطرهنَّ الى الاشتراك بالانتخاب بمعنييه بغية حمايتها حق لهنَّ ذلك الانتخاب لا محالة

في هذا الزمان قضت حالة الاجتماع الحاضرة وسنن المدنية الحديثة ان ينزل جانب من النساء الى رحبة العمل كالرجال فمنهنَّ تاجرات وصانعات وكاتبات وطبيبات ومحاميات ومعلمات ومستخدمات في دوائر وشركات مختلفة كالتلغراف والسكك الحديدية والبوسطة والبنوك الى غير ذلك مما يطول سرده فلهذا حق ان يكون لهنَّ أيدٍ في الانتخاب صيانة لمصالحهنَّ هذه

على انه قد يُردّ على هذا القول بقول آخر وهو ان هذه الاشغال المذكورة

آنفاً غير محصورة بالنساء بل هي عامة يشتركن بها مع الرجال وهؤلاء اصيلون فيها . فاذا كان لا بد لكل فئة من ذوي الاعمال والاموال والتجارات والصناعات والمهن نواب في مجلس الامة يكفي ان يكون النواب رجالاً يحافظون على حقوق منتخبيهم وبالتالي تحفظ حقوق زميلاتهم من النساء بالطبع . أي انه اذا انتخب التجار مثلاً نواباً عنهم في المجلس لحفظ حقوق التجارة حُفظت حقوق التاجرات في الجملة فلا خوف على حقوقهنَّ اذاً وبالتالي لا داعيَ اضطراري لتداخلهنَّ بمسألة الانتخاب

اقول : يُعارَض هذا القول بانه اذا صحَّ انه لا موجب لتداخلهنَّ في الانتخاب فلا يمتنع هذا التداخل لان الذي لا يجب قد يجوز واذا كان جائزاً من طبعه فهو واجب لانه حقٌّ . ومطلب النساء هذا حقٌّ لانه ما دام الرجل والمرأة يداً ليد في الاعمال حقٌّ لها ان تكون يدها مع يده في الاحكام أيضاً — أعفِها من العمل بتاتاً فيحق لك ان تمنعها من الاشتراك في الحكم الذاتي اضطرار المرأة الى الخروج من مملكة المنزل الى ساحة العمل خوَّلها الحق بالاستقلال الشخصي في معظم الامور بل خوَّلها التمتع باستقلال كاستقلال الرجل . فاذاً لها الحق ان تحافظ على هذا الاستقلال الذي تستحقه جزاءً لعملها ولا سبيل لمحافظتها عليه الا اذا اشتركت مع الرجل في الحكم — أعفِها من العمل فيحق لك ان تردها عن التهافت في الاستقلال المطلق وبالتالي يجوز لك ان تحول دون مرامها من الاشتراك في الحكم

ومع ذلك هب انه امكن اعفاء المرأة من العمل باصلاح يردُّ الهيئة الاجتماعية الى حالتها الطبيعية التي تخصص فيها المرأة لسياسة المنزل والرجل لتحصيل الرزق فلا يسقط حق المرأة من التداخل في الحكم الذاتي سقوطاً مطلقاً بل يبقى لها حق في التداخل ببعض اجزائه لان لها مصالح مستقلة من طبعها كمسائل الزواج

والطلاق والميراث والمعاملات الزوجية والتعليم والتربية وغير ذلك مما فيه للمرأة مصالح جوهرية اصيلة وطبيعية . فهذه الامور يجب ان يكون للمرأة في تشريعها وادارتها الرسمية يدٌ . ولو كان للمرأة حق الاشتراك في التشريع والقضاء والادارة والتنفيذ في هذه المسائل منذ القديم لما كانت شرائع الزواج والطلاق في اكثر الممالك حتى المتمدنة منها جائرة على المرأة ومداجية مع الرجل . فاذا امكن اعفاء المرأة من العمل فلا يبطل كل حقها بسياسة الامة وادارة شؤونها بل يبقى لها حق التداخل بالامور الآنف ذكرها لان لها مصالح طبيعية شخصية فيها ولانها مستقلة طبعاً بهذه الامور بما لها من الحرية الشخصية . فاذا كان لا يجوز بحكم العقل والضمير ان تُكرَه المرأة على زواج أو طلاق أو احتمال معاملة زوج اكراهاً وجب ان يكون لها يد في تشريع الشريعة التي تحميها من هذا الاكراه وتصون حريتها وراحتها وسعادتها

واذا لم يمكن اعفاء المرأة من العمل ولا امكن اصلاح النظامات الاجتماعية التي تغني المرأة عن العمل لكي تعود الى عرشها في المنزل بل بقيت مضطرةً الى الجهاد في مضمار العمل لتحصيل الرزق حقٌ لها كل ما يحق للرجل من الاشتراك في الحكم الذاتي ليس في مسائل الزوجية فقط بل في كل المسائل على السواء بلا استثناء

المسألة الثانية

نعود الى المسألة الثانية وهي : ,, هل يوافق الهيئة الاجتماعية ان يتساوى الرجل والمرأة في حقي التصويت والانتخاب '' أي هل تستمر الهيئة الاجتماعية في ارتقائها اذا اشترك النساء مع الرجال في ادارة الحكم الذاتي

فيما تقدم تبين لنا ان الذي يخوّل المرأة حق التداخل في الحكم الذاتي انما هو اضطرارها الى النزول الى ساحة العمل لتحصيل رزقها فهذا الامر يقودنا

الى سوءال آخر فرعي على حله يتوقف حل مسئلتنا الثانية الرئيسية الآنفة الذكر . وهو : هل يوافق لهيئة الاجتماعية ان تشترك المرأة مع الرجل في العمل وتحصيل الرزق ؟

اراني مضطراً ان ابحث في موضوع آخر له من الاهمية ما للموضوع ,, تصويت النساء '' بل أهم منه جداً . واشباع البحث فيه يشغل فسحة رحيبة والمجلة تكاد تمتلئ وانا اكره بتر الموضوع بالقول ,, ستأتي البقية '' . وعليه اضطر الى الاختصار الكلي على موعد التبسُّط في حين آخر اذا اقتضى الامر

ولكي نعلم ما اذا كان من مصلحة العمران البشري ان تشتغل المرأة مثل الرجل نبحث في ماهية وظيفة كل من الرجل والمرأة في العمران . لما ائتلف الناس في هيئة اجتماعية بغية التعاون لتسهيل المعيشة وتوفير الهناء نشأ مبدأ توزيع الاعمال الذي يختصر سبل العمل ويغني عن كثير التعب ويوفر الهناء للجنس البشري . ومن ذلك انه توزع العمل بين الرجل والمرأة وأخذ كل منهما ما هو له . ولما كانت خلقة المرأة تقضي عليها بالسكون والهدوء لما يتعاقبها من الحمل والارضاع وتربية الاولاد اختصت بتدبير المنزل — هذه وظيفتها . واما الرجل فلأن الطبيعة اطلقت له حرية الحركة اختص بالسعي وراء الرزق وتدبير حاجات المنزل — هذه وظيفته . فوظيفة الرجل غير وظيفة المرأة وكلتاهما جوهريتان متوازنتان . وهما متساويان بحق التمتع والهناء والسعادة . ثم ان الطبيعة عينت لكل منهما وظيفة فلا يمكن ان يتبادلا وظيفتيهما بطريقة من الطرق وانما يمكن المرأة ان تشتغل معظم اشغال الرجل ولكن يستحيل على الرجل ان يشتغل الا القليل من اشغال المرأة . فاذا رامت المرأة ان تُخلي وظيفتها وتنازع الرجل وظيفته أي ان تشتغل معه جنباً الى جنب نجم ضرران عظيمان يقوِّضان اركان العمران الاول : إضمحلال العائلة . ففي البلاد التي

تشتغل المرأة فيها كالرجل قلّ النسل جداً وتقلص الحنو الوالدي وتصلبت العواطف حتي صار الوالدان والبنون كغرباء عن بعضهم · ووفر الطلاق لموت عاطفة الحب ووفرة الفساد وقلة الاخلاص · وتحول الناس من روحيين الى ماديين

الثاني الاختلال في نظام العمل الاقتصادي · فانه لما جعلت المرأة تزاحم الرجل في باب العمل اصبحت فائدة تعب الرجل أقل فلم يعد عمله كافياً لان يعوله وعائلته جميعاً كما كان قبلاً واضطرت زوجته ان تشتغل معه لكي تعول نفسها· نعم انه أُضيف الى دار العمل أيادٍ جديدة زادت الريع للعمران ولكن هذه الزيادة لم يغتنمها العمال والعاملات بل تسرَّبت الى خزائن المليونيين وأمثالهم

واذا كانت المرأة في هذا العصر مضطرة الى العمل فما هي الملومة لان الغلط متسلسل من القوانين والنظامات العمرانية · وهذا موضوع آخر يستغرق بحثاً مستفيضاً لا متسع له الآن

والخلاصة ان نزول المرأة الى ساحة العمل ضار بالعمران لا محالة · فاذا امكن اعفاؤها منه باصلاح النظام الاجتماعي فعادت الى عرش منزلها لم يبقَ ثمت موجب لتداخلها بالاحكام الذاتية الا في ما يتعلق باحوالها الشخصية الطبيعية التي سبق ذكرها

مريم قبل التوبة

لم يتسنَّ لصاحب الجامعة ان يكتب اللازم من هذه الرواية لهذا الجزء بسبب تغيبه وسعيه في مشروع تسهيل الزراعة للسوريين في كندا ولذلك نشرنا هذه المقالة مكان الرواية فنرجو القراء معذرةَ